

معارضة ابن زيدون للمتنبّي قراءة في نويتين

م. د. إيمان سهيل سالم

جامعة الموصل /كلية التربية الأساسية / قسم اللغة العربية

تاريخ تسليم البحث : ٢٠٢٠/٥/٣ ؛ تاريخ قبول النشر : ٢٠٢٠/٦/٢١

المخلص :

نشأ فن المعارضة الشعرية منذ القدم، وقد اعتمد على فكرة المحاكاة، أي محاكاة الشاعر المقصودة لعمل سابق، ولقد أثرى هذا الفن الشعر العربي بالكثير، نظرًا لحرص الشعراء على إثبات التفوق والإبداع للنصوص المعارضة.

وعلى الرغم من وفرة الدراسات التي تناولت فن المعارضة الشعرية بالبحث والدراسة، وتطرقت لبيان مفهومها وما يرتبط بها من جوانب مثل: تاريخ ظهور هذا الفن، وشروطه والدوافع وراء انتشاره بين الشعراء من مختلف العصور وغيرها من الجوانب التي تعرض لها الباحثون في دراساتهم، إلا أن تلك الدراسات على وفرتها لم تتعرض إحداها إلى معارضة ابن زيدون للمتنبّي دراسة تفصيلية.

من أجل ذلك حاولنا في هذه الدراسة تقديم قراءتين لنونية المتنبّي ونونية ابن زيدون، إذ إننا نجد ملامح المعارضة جلية بين النصين، وقد قامت خطة البحث على توطئة تحدثنا فيها عن مفهوم وبواعث المعارضة الشعرية، ثم النظر في معارضة ابن زيدون للمتنبّي، ومحاولة الكشف عن ملامح وأوجه هذه المعارضة، وكيفية تناول كل منها للزمن والأنا والآخر، وذلك في سبيل إثبات أن المحاكاة لا تلغي شخصية الشاعر أو تهمشه، بل تحتفظ له بشخصيته وسماته المميزة له داخل القصيدة.

Opposition of Ibn Zeedon for the experiment Read in Nonitein

Eman sheel Salim

College of Education / University of Mosul

Abstract :

The art of poetic dissent originated from ancient times, and it depended on the idea of simulation, i.e. simulating the poet intended for a previous work, and this art enriched Arab poetry a lot, due to the poets 'keenness to prove the superiority and creativity of oppositional texts.

In spite of the abundance of studies that dealt with the art of poetry oppositions by research and study, and touched on explaining its concept and related aspects such as: the history of this art, its conditions and the motives behind its spread among poets from different eras, these and other aspects that researchers were exposed to in their studies, except That these studies, in their abundance, not one of them was subjected to a detailed study about Ibn Zaidoun's opposition to Al-Mutanabbi.

For this reason, this study dealt with talking about the concept and motives of the poetic opposition, then looking at Ibn Zaidoun's opposition to Al-Mutanabbi, and trying to reveal the features and aspects of this opposition, and how each of them deals with time, ego and the other, in order to prove that the simulation does not nullify or marginalize the poet's personality, Rather, it retains his personality and distinctive features within the poem.

التمهيد

أولاً: المعارضة الشعرية مفهومها وبواعثها:

المعارضة في اللغة:

الأصل اللغوي للمعارضة هو الجذر (عرض)، وهو جذر له فروع كثيرة، وهي مع كثرتها ترجع إلى أصل واحد^(١)، والفعل عارض - بزيادة الألف على أصل البناء اللغوي - زنته (فاعل)، وهي صيغة من معانيها التشارك بين اثنين أو أكثر، وتعني غلبة أحدهما على الآخر^(٢).

فأصل المعارضة إذاً المشاركة، يقال: "عارضته بمثل ما صنع، إذا أتيت إليه بمثل ما أتى إليك، ومنه اشتقت المعارضة"^(٣)، أي كأنه جعل عرض الشيء الذي أتى به مثل عرض الشيء الذي صنعه الأول^(٤)، ويقال: "عارض فلان بسلعته: أي أعطى واحدة وأخذ أخرى"^(٥).

المعارضة في الاصطلاح:

فن المعارضات الشعرية هو فن عربي قديم، وهو يقوم على عاتق شاعرين يسبق أحدهما الآخر زمنياً، فالمعارضة الشعرية تقوم على أن ينظم الشاعر المتقدم قصيدة في موضوع معين، وعلى وزن وحرف روي معينين، فيأتي الشاعر المتأخر، فيعجب بها، فينظم قصيدة على غرارها،

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ج٤، ٢٦٩.

(٢) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب: رضي الدين الإسترابادي، تحقيق: محمد محيي الدين وآخرين، ٩٦.

(٣) كتاب العين مرتباً على حروف المعجم: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ج٣، ١٣١ وما بعدها.

(٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ج٤، ٢٧٢.

(٥) كتاب العين: ج٣، ١٣١.

مستخدمًا نفس البحر الشعري، ونفس حرف الروي، وفي الموضوع نفسه، مع حرصه الدائم على المحافظة على فنية القصيدة، والوصول بها إلى درجة من الشعرية والفنية تتفوق على الأولى^(١).

بواعث فن المعارضة الشعرية:

المعارضات الشعرية فن عربي عرف منذ القدم، فتاريخها يرجع إلى تاريخ الأدب الأندلسي، والحق أن نشأة هذا الفن الشعري قد كان له بواعثه وأسبابه، ولقد انقسمت هذه البواعث والأسباب إلى شقين: بواعث عامة، وبواعث خاصة.

ولقد تمثلت البواعث العامة لنشأة فن المعارضة الشعرية في باعثن، وهما: نزعة الإعجاب والتقليد، وإثبات التفوق والإبداع، فلقد أعجب الأندلسيون بما أنتجه المشرقون من أشعار وقصائد، فكان ذلك عاملاً جعلهم يتجهون إلى التفكير في نظم أشعارهم على غرار هذه القصائد العظيمة التي قيلت في المشرق^(٢). أما الباعث الثاني فهو الرغبة في إثبات التفوق والإبداع، حيث كانت القصائد المشرقية الرصينة تثير حمية الأندلسيين ورغبتهم في أن يكون لهم أدب على نفس من القوة والجزالة والفنية، فكانت هذه الرغبة تدفعهم إلى معارضة القصائد المشرقية^(٣).

أما الدواعي والبواعث الخاصة للمعارضات الشعرية، فمنها أن يعجب أحد الخلفاء أو الملوك بقصيدة ما فيطلب من أحد الشعراء أن يكتب قصيدة على غرارها^(٤)، أو تأتي بدافع إثبات التفوق الشخصي لشاعر على آخر، وتتعدد الأسباب الخاصة للمعارضات الشعرية نتيجة لاختلاف البيئات والطبائع.

ثانياً: ملامح المعارضة الشعرية بين القصيدتين:

- (١) ينظر: تاريخ النقائض في الشعر العربي: أحمد الشايب، ٧، ينظر أيضًا: عصر سلاطين المماليك: محمود رزق سليم، مج ٨، ٤٧٧، وينظر أيضًا: تاريخ المعارضات في الشعر العربي: محمد محمود قاسم نوفل، ١٣.
- (٢) ينظر: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: ابن بسام الشنتريني، تحقيق: إحسان عباس، مج ١، ١٢، ينظر أيضًا: ظهر الإسلام: أحمد أمين، ج ٣، ١٠٤، ١٠٥.
- (٣) ينظر: الشعر العربي المعاصر روائعه ومدخل لقراءته: الطاهر أحمد مكي، ١٨.
- (٤) ينظر: المعارضات في الشعر الأندلسي دراسة نقدية موازنة: يونس طركي سلوم البجاري، ٧٧، ٧٨.

من خلال قراءتنا لقصيدتي المتنبّي وابن زيدون نستطيع أن ندرك ملامح المعارضة أو أوجه التشابه والاتفاق بين القصيدتين، ومن هذه الملامح ما يأتي:

١- الوزن: جاءت القصيدتان كلتاهما على وزن شعري واحد، وهو بحر البسيط التام، المكون من تفعيلتي (مستعلن فاعلن مستعلن فاعلن) في الشطر الواحد، فهو من البحور المركبة.

٢- القافية: اختار الشاعران قصيدتيهما حرف روي واحد وهو النون المضمومة، وهو حرف تلائم مع الجو النفسي العام، حيث ساعد على إظهار الألم والبوح الشكوى.

٣- الموضوع: تناولت القصيدتان موضوعاً واحداً تقريباً، وهو التوجع والألم من الفراق والبعد عن الأحباب وديارهم، ولعلنا نلاحظ ارتباط هذا الألم بالبعد عن المكان تحديداً، فالمتنبّي يشكو بعده عن بلاط سيف الدولة، وابن زيدون يشكو بعده عن الديار والأحبة، ورغم هذا التشابه في الموضوع والغرض الشعري فقد اختلف الباعث الذي أدى إلى كتابة القصيدة، فالمتنبّي حزن عندما علم بنبأ من نعاه في مجلس سيف الدولة بينما حزن ابن زيدون عندما جاء العيد وهو بعيد عن أهله.

المبحث الأول

حضور الزمن وأثره على الشعارين

تعد قضية الزمن من القضايا الفكرية التي ألحت على العقل البشري بشكل طويل، فقد حاول الإنسان منذ القدم محاولة التعرف على الزمن وفك معضلته وذلك في سبيل محاولة السيطرة عليه وإخضاعه لأهوائه، ولذلك نجد قضية الزمن من القضايا الفكرية التي نوقشت في مجالات مختلفة، سواء كانت فلسفية أو علمية أو أدبية^(١). وقبل أن نتناول كيفية تناول المتنبّي وابن زيدون للزمن لا بد لنا أولاً من معرفة النظرة العامة لدى الشعراء العرب للزمن، وذلك حتى نستطيع أن ندرك إن كان المتنبّي أو ابن زيدون قد خرج عن هذا الإطار العام وقدم معنى جديداً أم أن نظرتهم للزمن لم تخرج عن هذه النظرة العامة.

(١) ينظر: تجليات الصراع في شعر المتنبّي دراسة في الرؤية والتشكيل: مفلح ضبعان الحويطات، أطروحة دكتوراه، ٨٧.

وبالنظر في أشعار العرب نجد أن علاقة الشاعر العربي بالزمن كانت دائماً علاقة متوترة، حيث كانت العرب تدم الدهر، وتنسب له ما ينزل بهم من نوازل وحوادث، فيقولون أبادهم الدهر، وأصابتهم نوائب الدهر^(١)، وعلى ذلك فإننا نجد الزمان في الشعر العربي قوة عظيمة تفرق الشمل، وتقف عائناً أمام آمال الإنسان، فتعيقه عن تحقيق أهدافه وطموحاته، وكانت هذه النظرة للزمن تتفق مع النظرة العامة له في الآداب العالمية، فقد صورت الأساطير اليونانية الزمن بأنه إله يلتهم أبناءه^(٢)، وقالت بعض الأساطير إن الزمن يلتهم حياتنا، وهو العدو المظلم للإنسان الذي يتغذى دماء قلبه^(٣).

ومن خلال هذه النظرة العالمية للزمن نجد أن الشعراء العرب قد انقسم موقفهم من الزمن إلى قسمين، قسم رأى أن التغلب على الزمن عن طريق الخلود أمر ممكن عن طريق السيرة الحسنة والأخلاق الحميدة، فقام بتوظيف بعض القيم الأخلاقية في أشعاره، حتى تحفظ للذات بعض الحضور والفاعلية على مر العصور، كالمروءة والكرم، أما القسم الآخر فهو من رأى أن الخلود أمر مستحيل، فلم يستطع أن يخفف من وطأة الزمن على نفسه، فاستغرق في الملاذات بحجة اغتنام العمر القصير^(٤). ومن خلال هذه النظرة العامة للزمن انبثقت نظرة كل من المتنبي وابن زيدون، وفيما يلي بيان لكيفية تناول كل من الشاعرين للزمن داخل قصيدته.

أولاً: الزمن عند المتنبي:

جاءت علاقة المتنبي بالزمن علاقة متوترة قلقة، حيث أدرك المتنبي السلطة القهرية التي يمارسها الزمن على الكون، والتي لا مناص منها، لكن شخصية المتنبي المعتزة بذاتها رفضت أن ترسخ لهذه السيطرة، من أجل ذلك نجده في كثير من أشعاره يقف للزمن بالمرصاد، فيستعرض أمامه قوته وشجاعته وصلابته^(٥)، بل إنه قد يصل في ذلك إلى حد التلميح بالسخرية منه.

(١) ينظر: لسان العرب: ابن منظور، مج ٤، ٢٩٢، مادة (دهر).

(٢) ينظر: قضايا الفلسفة العامة ومباحثها: علي عبد المعطي محمد، ١٢٣.

(٣) الزمن في الأدب: ميرهوف هانز، ترجمة: أسعد رزوق، ٨١.

(٤) ينظر: تجليات الصراع في شعر المتنبي، ٨٩.

(٥) ينظر: م. ن، ٨٩.

وللزم حضور قوي في القصيدة محل المناقشة، إذ يقول المتنبّي في بداية القصيدة^(١):

أُرِيدُ مِنْ زَمَنِي ذَا أَنْ يُبَلِّغَنِي مَا لَيْسَ يُبَلِّغُهُ مِنْ نَفْسِهِ الزَّمَنُ
لَا تَلْقَ دَهْرَكَ إِلَّا غَيْرَ مُكْتَرِثٍ مَا دَامَ يَصْحَبُ فِيهِ رُوحَكَ الْبَدَنُ
فَمَا يُدِيمُ سُرُورَ مَا سُرِرْتَ بِهِ وَلَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْفَائِثَ الْحَزَنُ

ففي هذه الأبيات نجد المتنبّي يطلب من زمنه أن يستقيم حاله على الرغم من إنه لا يبلغ هذا في نفسه، لأن الزمن من طبيعته أنه لا يستقر على حال، ثم ينصح بأن الإنسان لا بد أن يلقى زمانه غير مكترث أي دون مشاعر فرح ولا حزن، فالزمن لا يستقر على حاله، وهذه المشاعر لن تدوم. ولعلنا نلاحظ في هذه الأبيات نظرة التحدي التي ينظر بها الشاعر إلى الزمن، فهو يطلب منه أمرًا لا يقدر الزمان عليه، ضد طبيعته، وهو أن يستقر على حال، فطموح المتنبّي أكبر من قدرة الزمن وسلطته، وبذلك فهو يثبت تفوقًا عليه، ويقف له بالند والمرصاد، كذلك نلاحظ نظرة السخرية من الزمن وسلطته، عندما يدعو إلى مقابلة الزمان بغير اكتراث، فالمتنبّي بذلك يسخر من سلطة الزمن وقهره، هذه السلطة التي لا يستطيع الفكاك منها. ولأن علاقة المتنبّي بالزمن علاقة متوترة قلقة فإنها لا تستقر على حال واحدة، فالمتنبّي الذي لاحظنا موقفه قادرًا على مجابهة الزمن ومقارعته والسخرية منه، نجده في مواقف أخرى يبدو على درجة كبيرة من الهشاشة والضعف^(٢)، فيعلن انتصار الزمن عليه في استسلام تام، ويظهر ذلك في قوله^(٣):

سَهَرْتُ بَعْدَ رَحِيلِي وَحَشَاةَ لَكُمْ ثُمَّ اسْتَمَرَّ مَرِيرِي وَارْعَوَى الْوَسْنَ
وَإِنْ بُلَيْتُ بُؤْدٍ مِثْلَ وَدِّكُمْ فَأَيْتِي بِفِرَاقٍ مِثْلَهُ قَمِنَ
أَبْلَى الْإِجْلَةَ مُهْرِي عِنْدَ غَيْرِكُمْ وَبُدِّلَ الْعُدْرُ بِالْفُسْطَاطِ وَالرَّسْنَ

إذ نلاحظ حالة الضعف التي تسيطر على الشاعر، والإحساس بالانهزامية أمام خطوب الزمن ونوائبه، فقد سهر بعد الرحيل من الوحشة، وقد كتب عليه الفراق بعدما بلي بالود، فالشاعر

(١) ديوان المتنبّي، ٤٧١.

(٢) ينظر: تجليات الصراع في شعر المتنبّي، ٩٥ وما بعدها.

(٣) ديوان المتنبّي، ٤٧٢، ٤٧٣.

في هذه الأبيات يشكو حاله وما ألمَّ به من متاعب وآلام نتيجة الفراق والبين، هذه الشكوى تتعارض مع موقفه السابق الذي يقف فيه للزمن بالمرصاد، والحق أن هذا التناقض جاء طبيعياً من شخص كان طموحه أكبر من إمكانيات زمنه، الأمر الذي أدى به في النهاية إلى إظهار الضعف والانهازامية تارة، ومعاودة إظهار القوة والصلابة تارة أخرى.

ثانياً: الزمن عند ابن زيدون:

من خلال النظر إلى شعر ابن زيدون نستطيع أن ندرك أنه لم يكن لديه مثل هذا القدر الكبير من الطموح الذي وجدناه عند المتنبي، لذلك جاء موقف ابن زيدون من الزمن أقل توترًا من المتنبي، لكن موقفه لم يخرج عن النظرة العامة للزمن في أشعارهم، فابن زيدون يشكو من سيطرة الزمن وإحكام وطأتها عليه، ومن الأبيات التي تظهر فيها شكواه من الزمن قوله^(١):

يَا هَلْ أَجَالِسُ أَقْوَامًا أَحِبُّهُمْ؟ كُنَّا وَكَانُوا - عَلَى عَهْدٍ - فَقَدْ طَعَنُوا

ففي هذا البيت تظهر وطأة الزمن من خلال استخدام الشاعر للفعل (كان) مرتين متتاليتين، والذي يدل على انقضاء العهد، وتغير الوضع من حال إلى حال، فابن زيدون يتمنى أن يعود به الزمن ثانية فيجالس أقوامًا يحبهم قد كان على عهد معهم، ولكن هيهات هذه الأمنية العزيرة، فالزمن لا يعود أبدًا، والأحباب قد رحلوا. ولعلنا نلاحظ حالة الاستسلام والانهازامية التي تسيطر على الشاعر تجاه الزمن، ويظهر ذلك بشكل واضح في قوله^(٢):

إِنْ كَانَ عَادَكُمْ عَيْدٌ قُرْبَ قَتَى بِالشُّوقِ قَدْ عَادَهُ - مِنْ نَكْرِكُمْ - حَزَنٌ

وَأُفْرَدَتْهُ اللَّيَالِي مِنْ أَحِبَّتِهِ فَبَاتَ يُنْشِدُهَا - مِمَّا جَنَى الزَّمَنُ -

"بِمِ التَّعَلُّلِ لَا أَهْلٌ وَلَا وَطَنٌ وَلَا نَدِيمٌ وَلَا كَأْسٌ وَلَا سَكَنٌ"

إذ نجد الشاعر يشكو زمانه، فقد جنى عليه وكان سبباً في هذه المأساة التي يعاني منها، ففي الوقت الذي يعم فيه الفرح والعيد على أحبته، يجلس هو وحيداً يغمره الحزن إثر ذكره أحبته، وهو لا يملك شيئاً حيال هذا. ومن خلال ما سبق يمكننا القول إن حضور الزمن قد كان واضحاً

(١) ديوان ابن زيدون ورسائله: شرح وتحقيق: الأستاذ علي عبد العظيم، تقديم ومراجعة: محمد إحسان، ١٩٠.

(٢) م.ن ، ١٩١.

عند الشاعرين، وقد ظهر في القصيدتين بنفس الشكل المسيطر والمتعطر الذي يفرض سيطرته على كل شيء، على الرغم من تباين موقف الشاعرين من هذه السيطرة، حيث تأرجح موقف المنتبي بين المقارعة والندبة مرة والانهازمية والضعف مرة أخرى، أما ابن زيدون فكان موقفه من الزمن موقفاً واحداً فقد أدرك أنه لا يستطيع إلا الشكوى وإظهار الألم.

المبحث الثاني

الأنا وحضورها عند الشاعرين

نظر الكثير من العلماء والمفكرين في ثنائية العلاقة بين الأنا والآخر، وكانت هذه القضية من القضايا الفكرية المهمة التي شغلت الإنسان الحديث، واختلفت الآراء بين من يرى أنه لا وجود للأنا إلا في إطار الجماعة^(١)، ومن يلح على ذاتية الفرد وخصوصيته^(٢)، ولقد أدى تباين الاتجاهات الفكرية إزاء الأنا والمجتمع إلى تباين نظر الشعراء والمبدعين أيضاً، ومن أجل ذلك لا بد لنا من التوقف أمام ظاهرة تناول الأنا وحضورها عند المنتبي وابن زيدون.

أولاً: الأنا عند المنتبي:

لقد اتخذت علاقة الأنا بالمجتمع شكلاً أشبه بالصراع، الأمر الذي جعل البعض يقول إن الوضع الإنساني كله لا يتعدى الصراع بين طبقات المجتمع^(٣)، ولقد كانت علاقة المبدع بالمجتمع جزء من هذا الصراع، فقد قال البعض إن الإنسان المبدع أو الفنان بمعنى آخر إذا اكتشف صفاءه اكتشف معه عكر العالم^(٤).

لذلك لم تكن علاقة المنتبي بالمجتمع تخرج عن هذا الإطار، وهذه النظرة العامة، فقد كانت علاقة المنتبي بالمجتمع تأخذ شكلاً من أشكال الصدام والمواجهة، وذلك من خلال توظيفه

(١) ينظر: مشكلة الإنسان: زكريا إبراهيم، ١٥٤.

(٢) ينظر: دعوة نيتشه إلى ما سماه بالإنسان الأعلى، رواية هكذا تكلم زرادشت: فريدريك نيتشه، ترجمة: فليكس فارس .

(٣) ينظر: اتجاهات الشعر العربي المعاصر: إحسان عباس، ١٥٣.

(٤) ينظر: م.ن ، ١٥٤.

للتناقضات التي تتكون بينها العديد من العلاقات مثل النفي والتضاد المطلق والتكامل والتناغم وغيرها^(١).

ولقد كان موقف المتنبي هذا تجاه المجتمع نابغاً من مركزية الأنا لديه، فالأنا عند المتنبي نجدها في جميع قصائده مسيطرة ، ونلاحظ حضورها بشكل كبير حتى في قصائد المدح، فالمتنبي دائماً وفي جميع نتاجاته الشعرية يعتد بنفسه، يفخر بها، وينسب له كل الخصال الحميدة، وينصرها دائماً على ما سواها، ومن الأبيات التي يظهر فيها حضور الأنا داخل القصيدة قوله^(٢):

مَا فِي هَوَادِجِكُمْ مِنْ مُهَجَّتِي عَوْضٌ إِنَّ مُتَّ شَوْقًا وَلَا فِيهَا لَهَا تَمَنُّ
يَا مَنْ نُعِيْتُ عَلَى بُعْدٍ بِمَجْلِسِهِ كُلُّ بِمَا رَعَمَ النَّاعُونَ مُرْتَهَنُ
كَمْ قَدْ قُتِلْتُ وَكَمْ قَدْ مُتُّ عِنْدَكُمْ ثُمَّ انْتَفَضْتُ فَرَّالَ الْقَبْرِ وَالْكَفَنِ
قَدْ كَانَ شَاهِدَ دَفْنِي قَبْلَ قَوْلِهِمْ جَمَاعَةً ثُمَّ مَاتُوا قَبْلَ مَنْ دَفَنُوا

إن الناظر في هذه الأبيات يلاحظ مركزية الأنا وحضورها اللافت على أكثر من جانب، فعلى جانب المعنى والدلالة، نجد الشاعر يؤلمه فراقه عن مجلس سيف الدولة، كما ألمه خبر نعيه في مجلسه، وهو رغم هذا الألم يصرح أن الشوق لا يجدي، فمن ماتت نفسه من الشوق لن يجد ما يعادل نفسه من ثمن عوضاً عنها، فجعل نفسه لا تقدر بثمن، أما على الجانب الأسلوبي فنلاحظ مركزية الأنا داخل الأبيات من خلال توظيفه لضمير المتكلم المتصل خمس مرات متفرقة، وتوظيفه لياء الملكية مرتين، ولقد ساعد الأنا على جعلها تستجمع "لنفسها مزيداً من الصفات الحيوية التي توزعت بين الجوانب المادية بما تعبر عنه من صلابة وقوة، والجوانب المعنوية الهادفة إلى تعزيز قيمة الأنا في مواجهة الآخر ومنجزاته"^(٣).

ثانياً: الأنا عند ابن زيدون:

(١) ينظر: جدلية الخفاء والتجلي: كمال أبو ديب، ٩، ١٠.

(٢) ديوان المتنبي، ٤٧١، ٤٧٢.

(٣) تجليات الصراع في شعر المتنبي، ١٥.

تميزت شخصية ابن زيدون وتفردت عن غيرها من الشخصيات الأخرى، الأمر الذي انعكس بدوره على ما أنتجه من نصوص أدبية، ومن خلال نظرة عامة إلى أشعار ابن زيدون وخاصة القصائد الغزلية نرى الحضور الواضح للأنا لدرجة قد تصل النرجسية^(١)، غير أن الأنا في هذه القصيدة قد اتخذت موقفًا مختلفًا عن موقفها في غزلياته وعن موقفها في قصيدة المنتبي.

ففي هذه القصيدة نجد الأنا عند ابن زيدون تتميز بالضعف والهشاشة، فهي لا تمتلك إلا الشكوى، فقد جاءت الأبيات كلها تنضح بالشكوى من آلام الفراق، يقول الشاعر^(٢):

وَأَرْقَ الْعَيْنَ - وَالظَّلْمَاءَ عَاكِفَةً - وَرُقَاءَ، قَدْ شَفَّهَا - إِذْ شَفَّنِي - حَزْنُ
فَبِتْ أَشْكُو وَتَشْكُو فَوْقَ أَيُّكْتِيهَا وَبَاتَ يَهْفُو ارْتِيَا حَا بَيْنَنَا الْعُصْنُ
يَا هَلْ أَجَالِسُ أَقْوَامًا أَحِبُّهُمْ؟ كُنَّا وَكَانُوا - عَلَى عَهْدٍ - فَقَدْ ظَعَنُوا
أَوْ تَحْفَظُونَ عُهُودًا لَا أَصِيغُهَا إِنَّ الْكِرَامَ - بِحِفْظِ الْعَهْدِ - تُمَنَحُنُ

فالشاعر يشكو آلام الفراق عن الأحبة والديار، هذه الآلام التي نراه قد استسلم لها استسلامًا تامًا حتى أشفقت عليه حمامة وباتت تشكو معه مما يشكو منه، وفي هذه الأبيات تظهر الأنا عند ابن زيدون ضعيفة تبوح بآلامها وأوجاعها، فهي لا تمتلك غير الشكوى، فلا تظهر تجلدًا ولا اعتزازًا ولا شجاعة.

ولعلنا لاحظنا على هذه القصيدة إنكار ابن زيدون للأنا الشاعرة، فحضور الأنا عند ابن زيدون قد جاء أقل حضورًا من المنتبي، فالمنتبي يعبر دائمًا عن حاله بضمير المتكلم لا يلتفت عنه إلى غيره، أما ابن زيدون فقد آثر التعبير عن آلامه بضمير الغائب، فلا نكاد نراه يعبر عن مشاعره بضمير المتكلم إلا في هذه الأبيات السابقة، الأمر الذي يدل على قلة حضور الأنا داخل القصيدة، ومحاولة إنكارها.

(١) ينظر: النرجسية وتجلياتها في غزل بن زيدون، حسناء أقدم، مجلة جامعة دمشق، المجلد (٢٩)، العدد (٢٠١)، ٢٠١٣م.

(٢) ديوان ابن زيدون ورسائله، ١٩٠، ١٩١.

ومن خلال ما سبق نستطيع أن نقول إن حضور الأنا عند المتنبّي جاء بشكل مركزي ومحوري، فالأنا عنده قوية معتدة بنفسها، تتخذ من نفسها نقطة انطلاق لجميع المعاني المطروحة، وعلى العكس جاءت الأنا عند ابن زيدون ضعيفة، منكورة، لا تمتلك غير الشكوى.

المبحث الثالث

الأخر وحضوره عند الشاعرين

إن مصطلح الآخر يرتبط مع مصطلح الأنا في جدلية ثنائية عني الفلاسفة بدراستها وإيضاح ماهيتها منذ عصر فلاسفة اليونان^(١)، فالأنا هي الماهية أي الخصائص الذاتية للفرد والتي تقابل الوجود^(٢)، فهي الذات المركزية والتي يتركز حولها نظرية العلم والوجود^(٣)، وعلى ذلك فإن الآخر هو كل ما غير الأنا، أي الإقرار بوجود خارج الذات العارفة^(٤)، وعلى هذا فإن الآخر هو "الكلية المزدوجة للكينونة الذاتية وتفويضها في الآن نفسه، وهو يتداخل في سلسلة غير منتهية ... فالفرد ممكن أن يكون آخر حتى بالنسبة إلى نفسه، قبل مدة قصيرة، ويمكن أن يتحول إلى آخر بعد مدة قصيرة أيضًا، وكل شخص هو آخر بالنسبة لأي شخص على وجه الأرض"^(٥).

أولاً: الآخر عند المتنبّي:

إن علاقة المتنبّي بالآخر وحضوره في أشعاره علاقة تقوم على أمرين، التهميش والضدية، فلقد أدت محورية الأنا ومركزيتها داخل الأبيات إلى تهميش الآخر، ففوة حضور الأنا قد ألغت حضور الآخر أو همشته، كذلك فقد قامت هذه العلاقة على التعارض والانفصام، "العلاقة التي تحكم الجانبين علاقة ضدية تتكشف بدورها عن وجوه واضحة من الرفض لقيم الآخر ومسلكه.

(١) ينظر: الانهمام بالذات: ميشيل فوكو، ترجمة: جورج أبو صالح، ٣٢، ٣٣.

(٢) ينظر: المعجم الفلسفي: مجمع اللغة العربية، ٢٣.

(٣) ينظر: الأنا في الشعر الصوفي (ابن الفارض أنموذجاً): عباس يوسف الحداد، ١٩٢.

(٤) ينظر: دراسات في الفلسفة الوجودية: عبد الرحمن بدوي، ١٢.

(٥) سرد الآخر (الأنا والآخر عبر اللغة السردية): صلاح صالح، ١٠.

وقد تشكلت عن ذلك صورة منقوصة ودونية للآخر، مقابل ما تجهد الأنا في تقديمه لنفسها من صورة مضادة ومتميزة^(١)، ومن الأبيات التي تثبت ذلك قول الشاعر^(٢):

يَا مَنْ نُعِيْتُ عَلَى بُعْدِ بِمَجْلِسِهِ كُلُّ بِمَا زَعَمَ النَّاعُونَ مَرْتَهَنُ
كَمْ قَدْ قُتِلْتُ وَكَمْ قَدْ مِتُّ عِنْدَكُمْ ثُمَّ انْتَفَضَتْ فَرَّالَ الْقَبْرِ وَالْكَفْنُ
قَدْ كَانَ شَاهِدًا دَفْنِي قَبْلَ قَوْلِهِمْ جَمَاعَةً ثُمَّ مَاتُوا قَبْلَ مَنْ دَفَنُوا
مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ تَجْرِي الرِّيَّاحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السُّفُنُ
رَأَيْتُكُمْ لَا يَصُونُ الْعَرِضَ جَارِكُمْ وَلَا يَدِيرُ عَلَى مَرَعَاكُمُ اللَّبَنُ
جَزَاءُ كُلِّ قَرِيبٍ مِنْكُمْ مَلَلٌ وَحِظُّ كُلِّ مُحِبِّ مِنْكُمْ صَعَنٌ
وَتَعْضَبُونَ عَلَى مَنْ نَالَ رِفْدَكُمْ حَتَّى يُعَاقِبَهُ التَّنْغِيصُ وَالْمِنُنُ

إذ تظهر هنا علاقة الندية والتصادم بين الأنا والآخر، ويتضح ذلك من خلال إبراز دور الأنا والمبالغة في حضورها في مقابل تهमيش الآخر والحط من شأنه، ولعلنا نلاحظ أيضًا داخل هذه الأبيات الحس الثوري على الآخر، ومحاولة السخرية منه واحتقاره، ولعل هذا الحس الثوري يعود إلى تحقيق غاية الأنا الطموحة التي تحلم بتحقيق واقع مختلف، وربما يكون ذلك نابعا من حالة الفقر التي عاشها المنتبي في بداية حياته^(٣)، فضلا عن بعض المؤثرات الفكرية التي اتجه إليها الشاعر في بعض الأحيان^(٤)، لذلك كانت ثورته على الآخر عارمة داخل الأبيات، نتيجة لمحاولة إثبات الأنا.

ثانياً: الآخر عند ابن زيدون:

(١) تجليات الصراع في شعر المنتبي، ٢٦.

(٢) ديوان المنتبي، ٤٧١، ٤٧٢.

(٣) ينظر: الواضح في مشكلات شعر المنتبي: أبو القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني، تحقيق: الطاهر بن عاشور، ٩.

(٤) قال بعض الدارسين أن المنتبي قد تأثر في فترة مبكرة من حياته بالفكر القرمطي الذي يقول بأنه لا سبيل لتحقيق أهداف الفرد سوى العنف والثورة، ينظر: مع المنتبي: طه حسين، ٤٤، وينظر أيضًا: أبو الطيب المنتبي دراسة في التاريخ الأدبي: ريجسير بلاشير، ترجمة: إبراهيم الكيلاني، ١٠٤، ١٠٥.

اتخذ ابن زيدون من حضور الآخر داخل القصيدة موقعاً مختلفاً عن موقف المتنبي، فبينما كان المتنبي ينكر الآخر ويهمشه، ويقف بالنقد له، نجد ابن زيدون يعلي من شأنه، ويعزز حضوره ويقويه داخل الأبيات، ولعل ما ساعد ابن زيدون على اتخاذ هذا الموقف أن تجربته الشعرية تمثلت في بعده عن الآخر رغماً عنه، حيث أتى العيد وهو وحيد، بعيد عن الديار والأهل والأحباب، لذلك جاء حضور الآخر عنده قوياً فكأنه يتسلى عن غيابهم بكثرة ذكركم داخل الأبيات، والذي يعضد ذلك كثرة استخدامه لضمائر المخاطب داخل القصيدة، حيث يقول^(١):

هَلْ تَذْكُرُونَ غَرِيبًا عَادَهُ شَجَنٌ - مِنْ ذِكْرِكُمْ - وَجَعًا أَجْفَانَهُ الْوَسَنُ؟

ويقول أيضاً^(٢):

أَوْ تَحْفَظُونَ عُهْدًا لَا أَضِيْعُهَا إِنَّ الْكِرَامَ - بِحِفْظِ الْعَهْدِ - تُمْتَحَنُ

إِنْ كَانَ عَادَكُمْ عَيْنٌ قَرَبٌ فَتَى بِالشَّوْقِ قَدْ عَادَهُ - مِنْ ذِكْرِكُمْ - حَزَنٌ

فالشاعر قد خاطب أحبته بضمير المخاطب في ثلاث أبيات، وكأنه يريد أن يشعر بقرب وجودهم منه فيكلمهم وكأنهم حاضرين فعلاً أمامه، فهو يعبر عن الآخر بضمير المتكلم، ويصفهم بالكرام في الوقت الذي أثر فيه أن يعبر عن نفسه بضمير الغائب في معظم الأبيات، فهو غائب في نظرهم، لكنهم حاضرين في نظره، حاضرون بذكركم والشوق إليهم، ومن خلال مشاعر الشوق هذه نجد ابن زيدون يجل الآخر ويحترمه ويمدحه، ويجعل حضوره يطغى على حضور الأنا داخل القصيدة.

ومن خلال ما سبق نستطيع أن نقول إن موقف المتنبي وابن زيدون من حضور الآخر داخل قصائدهما قد جاء موقعاً متبايناً، فالمتنبي يحتقر الآخر ويهمشه ولا يسمح لحضوره أن يطغى على حضور الأنا، أما ابن زيدون فحضور الآخر عنده أقوى من حضور الأنا، وهو يجل الآخر ويكبره ويمدحه، ولقد ساعد على تكوين موقف الشعارين تجاه الآخر التجربة الشعرية والبواعث التي أدت إلى كتابة القصيدة، فالمتنبي يمتليء صدره بالغیظ والغضب ممن نعه في مجلس

(١) ديوان ابن زيدون ورسائله، ١٩٠.

(٢) م.ن، ١٩١.

سيف الدولة، أما ابن زيدون فقلبه ممتلئ بالشوق والحنين إلى الأحبة، ومن الطبيعي ألا يشقائق الإنسان إلا لشخص يجله ويحترمه ويعترف بأهمية وجوده وحضوره.

الخاتمة

وبعد أن فصلنا القول في فن المعارضة الشعرية عن طريق تناول قصيدتين للمتنبى وابن زيدون، فهذه خاتمة الدراسة، وقد جاءت تعرض لأهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة، ومن هذه النتائج ما يأتي:

- ١- المعارضة الشعرية هي فن قديم النشأة، ترجع جذوره الأولى إلى العصر الجاهلي، ولكنه ازدهر وتأصل في العصر الأندلسي.
- ٢- توجد ملامح عامة اتفقت فيها قصيدة المتنبى وابن زيدون، مثلت هذه الملامح الشكل العام للمعارضة، ومنها اتفاق الوزن، وحرف الروي، والاتفاق في الموضوع.
- ٣- رغم قيام فن المعارضة الشعرية على تقليد الشاعر الحديث لغيره، فإن كل قصيدة تظل مرهونة بشاعرها، تحمل الكثير من أفكاره، واتجاهاته، وتقلباته النفسية، لذلك احتوت القصيدتان على الكثير من المواقف المتباينة.
- ٤- اختلف موقف المتنبى وابن زيدون من حضور الزمن، حيث نجد المتنبى يسخر منه، ويقف له بالمرصاد تارة، ويستسلم له ويبيدي إليه ضعفه تارة أخرى، بينما جاء موقف ابن زيدون على حال واحدة، حيث أظهر ضعفه واستسلامه من بداية القصيدة إلى آخرها.
- ٥- كذلك اختلف موقف الشاعرين من حضور الأنا والآخر داخل قصيدتهما، فالمتنبى معتر بالأننا، ينكر الآخر ويحتقره ويهمشه، أما ابن زيدون ينكر الأنا داخل الأبيات، ويعلي من شأن الآخر، ويجعل حضوره يطغى على حضور الأنا.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الكتب:

- ١- أبو الطيب المتنبي دراسة في التاريخ الأدبي، ريجسير بلاشير، ترجمة: إبراهيم الكيلاني، ط٢، دار الفكر - دمشق، ١٩٨٥م.
- ٢- اتجاهات الشعر العربي المعاصر، إحسان عباس، ط٢، دار الشروق - عمان، ١٩٩٢م.
- ٣- الأنا في الشعر الصوفي (ابن الفارض أنموذجاً)، ط١، عباس يوسف الحداد، دار الحوار - سوريا، ٢٠٠٥م.
- ٤- الانهماج بالذات، ميشيل فوكو، ترجمة: جورج أبو صالح، مركز الإنماء العربي - لبنان، ١٩٩٢م.
- ٥- تاريخ المعارضات في الشعر العربي، محمد محمود قاسم نوفل، ط١، بيروت، ١٩٨٣م.
- ٦- تاريخ النقائض في الشعر العربي، أحمد الشايب، ط٢، ١٩٥٤م.
- ٧- جدلية الخفاء والتجلي، كمال أبو ديب، ط٣، دار العلم للملايين - بيروت، ١٩٨٤م.
- ٨- دراسات في الفلسفة الوجودية، عبد الرحمن بدوي، ط٢، دار النهضة المصرية، ١٩٦٦م.
- ٩- ديوان ابن زيدون ورسائله، شرح وتحقيق: الأستاذ علي عبد العظيم، تقديم ومراجعة: محمد إحسان، ط٣، منشورات مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، ٢٠٠٤م.
- ١٠- ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت - لبنان، ١٩٨٣م، ١٤٠٣ هـ.
- ١١- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابن بسام الشنتريني، تحقيق: إحسان عباس، ط٢، الدار العربية للكتاب - ليبيا - تونس - ١٩٨١م، م١.
- ١٢- رواية هكذا تكلم زرادشت، فريدريك نيتشه، ترجمة: فليكس فارس، دار القلم - بيروت.
- ١٣- الزمن في الأدب، ميرهوف هانز، ترجمة: أسعد رزوق، مؤسسة سجل العرب - القاهرة - مصر، ١٩٧٢م.

- ١٤- سرد الآخر (الأنا والآخر عبر اللغة السردية)، صلاح صالح، ط١، المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء - المغرب، ٢٠٠٣م.
- ١٥- شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين الإسترأبادي، تحقيق: محمد محيي الدين وآخريّن، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ١٩٧٥م.
- ١٦- الشعر العربي المعاصر وروائعه مدخل لقراءته، الطاهر مكّي، ط١، مصر، ١٩٨٠م.
- ١٧- ظهر الإسلام، أحمد أمين، ط٥، مصر، ١٩٨٢م، ج٣.
- ١٨- عصر سلاطين المماليك، محمود رزق سليم، ط١، القاهرة، ١٩٦٥م، مج٨.
- ١٩- قضايا الفلسفة العامة ومباحثها، علي عبد المعطي محمد، دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية - مصر، ١٩٨٣م.
- ٢٠- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة المعاجم والفهارس، مطابع الرسالة، الكويت، ١٩٨٠م.
- ٢١- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر - بيروت - لبنان.
- ٢٢- مشكلة الإنسان، زكريا إبراهيم، مكتبة مصر - القاهرة.
- ٢٣- المعارضات في الشعر الأندلسي دراسة نقدية موازنة، يونس طركي سلوم البجاري، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ٢٠٠٨م.
- ٢٤- المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية - مصر، ١٩٨٣م.
- ٢٥- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ط١، القاهرة، ١٣٦٨هـ، ج٤.
- ٢٦- مع المتنبّي، طه حسين، ط١٢، دار المعارف - القاهرة.
- ٢٧- الواضح في مشكلات شعر المتنبّي، أبو القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني، تحقيق: الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٦٨م.

ثانياً: الأطاريح الجامعية:

- ١- تجليات الصراع في شعر المتنبي دراسة في الرؤية والتشكيل، مفلح ضبعان الحويطات، أطروحة دكتوراه، بإشراف: الأستاذ الدكتور أنور أبو سويلم ، عمادة الدراسات العليا، جامعة مؤتة، ٢٠٠٨م.

ثالثاً: الدوريات:

- ١- النرجسية وتجلياتها في غزل بن زيدون، حسناء أقدح، مجلة جامعة دمشق، المجلد (٢٩)، العدد (٢+١)، ٢٠١٣م.